المشرق الرقميّة
٢١
العدد الحادي والعشرون
كانون الأوّل ٢٠٢٢

من الإعلام التّقليديّ إلى الإعلام الجديد، كيفيَّة الحفاظ على الصُّدقيّة والمهنيَّة؟

الأب سليم دكّاش*

الإعلامُ الرَّقميّ يُبدِّل مفهومَ الصِّحافيّ المهنيّ إلى الصِّحافيّ المواطن من دون رقيب

تخصّص **المشرق الرّقميّة** حيّزًا واسعًا في هذا العدد الجديد لموضوع الإعلام في مختلف وجوهه ومشاكله وتطوّراته.

فكثيرًا ما توضع وسائل الإعلام التّقليديّة في مواجهة الوسائل الجديدة. إذًا، ما هي الوسائل التّقليديّة وكيف نعرِّفها؟ إنّ الوسائل التّقليديّة هي تلك الّتي كانت موجودة وفاعلة قبل بروز الشّبكة العنكوبيّة، وهذا لا يعني أنّها وهنت واختفت. فالصّحافة المطبوعة والرّاديو والتّلفزيون لازالت قويّة وفاعلة في المجتمعات

* رئيس تحرير مجلّة المشرق. رئيس جامعة القدّيس يوسف. رئيس رابطة جامعات لبنان. عضو في الاتّحاد الدّوليّ للجامعات (منذ العام ٢٠١٦). حائز دكتوراه في العلوم التّربويّة من جامعة ستراسبورغ – فرنسا (٢٠١١)، ودكتوراه في الآداب – الفلسفة من جامعة بانتيون – السّوربون ١ (١٩٨٨). يدرّس فلسفة الدّين والحوار بين الأديان والرّوحانيّة السّريانيّة في كلّيّة العلوم الدّينيّة في الجامعة اليسوعيّة.

essde@hotmail.com

المتنوّعة أكان ذلك في البلدان المتقدّمة أو النّامية. جدير بالذّكر أنّه مع اختراع الإنترنت، والمضاربة الرّقميّة مع بداية التّسعينيّات في القرن الماضي، تطوّرت وسائل "استهلاك وانتشار المعلومات"، بحيث اتّجهت الوسائل التّقليديّة إلى التّأقلم مع الواقع الجديد، وهضم الطّرق الرّقميّة، فأفادت منها وطوّرت نفسها بحيث بقيت وسائل تقليديّة مع ربطها بمنظومة الاستهلاك السّريع والشّموليّ والفوريّ لتوزيع الأخبار والتّعليق عليها وإيصالها إلى ملايين المشتركين بشكل واقعيّ وموضوعيّ أو بالإثارة، بحسب ما ينتظر القارئ أو المستمع أو المشاهد.

إلّا أنّ الشّبكة العنكبوتيّة والمنظومة الرّقميّة لم تمنع الوسائل الإعلاميّة التّقليديّة من المحافظة على طريقتها الإعلاميّة، ألا وهي نشر الخبر على مستوًى واسع من الأشخاص في الوقت عينه، على أن يقوم المتلقّي باختيار ما يعنيه من الأنباء المقدّمة له. وهذه الوسائل لازالت تعتمد في المحتوى وفي الشّكل على مجموعة مهنيّة من الاختصاصيّين، وتتّكئ على شهرتها وسمعتها الّتي صنعتها مع مرور الأيّام.

أمّا الوسائل العصريّة التّكنولوجيّة، الّتي أفرزت ما نسمّيه اليوم الوسائل الإعلاميّة الاجتماعيّة وذلك ابتداء من العام ٢٠٠٤ مع تأسيس المنصّات الإعلاميّة المتقدّمة القائمة على المنظومة الرّقميّة، فإنّها تقوم على مبدأ التّفاعل الفوريّ والمستمرّ والشّموليّ أحيانًا، بين مختلف المتلقّين الّذين يلعبون الدّور المزدوج بأن يكونوا مرسِلين للمعلومة أو الخبر ومتلقّين له. فالّذي يصنع محتوى المنصّات الرّقميّة الإعلاميّة الاجتماعيّة هو المستخدِم بحدّ ذاته. فنستطيع أن نسمّي هذا المنطق تعاونًا بين مختلف المستخدِمين حتّى ولو كان ذلك التّعاون سلبيًّا بمعنى أنَّ المستخدمين، أو بعضهم على الأقلّ، يلجأون إلى النّقد اللّاذع وإلى الشّتيمة في مخاطبتهم الآخرين، وهذه هي قاعدة التّفاعل. ومع قيام هذه المنصّات، وللمستخدم دور بارز فيها، قام الإنترنت بثورته الدّاخليّة، بمعنى أنّ المستخدِم لم يعد ذلك المتلقّي غير الفاعل أمام صفحة الموقع الّذي يزوره بل خلّاقًا للمحتوى مع غيره من المستخدِمين، وذلك ما نسمّيه أسرة المنصّة التّفاعليّة. وبالتّالي أصبح هناك عاملان أساسيّان مختلفان عن وضعيّة الإعلام الكلاسيكيّ، من ناحية توسّع مفهوم الصّحافيّ المهنيّ نحو الصّحافيّ المواطن الّذي ينقل الخبر والصّورة والرّأي والإثارة مع حساسيّته الباردة أو الحارّة أو الجارحة تقريبًا بلا رقيب، وصار المستخدِم الصّحافيّ المواطن هو الّذي لا يصنع الخبر فحسب بل إنّه يصنع صورتك كشخص ومؤسّسة مدرسيّة أو جامعيّة أو سياحيّة أو تجاريّة، ويبدّل فيها ويقدّمها للرأي العامّ، باسم الحريّة الّتي يتمتّع بها والقدرة الفكريّة والشّعوريّة الّتي يتحكّم فيها.

وهكذا، فإنَّ الوسائل الإعلاميّة التّقليديّة الّتي كان يُشتبه بأنّها كانت تفبرك الخبر أو تحوّره لغاية في نفس يعقوب، وبعد أن كان التّلفزيون يسبّب الإدمان على الصّورة خصوصًا عند الصّغار، وُجدت وسائل اجتماعيّة رقميّة جديدة تجاوزت التّقليديّة في انعدام الموضوعيّة أو التّقصّي للتّحقّق من صدقيّة الخبر وحتّى موضوعيّة الصّورة، بالإضافة إلى الشّطط الكبير في التّخاطب وفي تصادم الهويّات الدّينيّة والمذهبيّة والثّقافيّة. أحد كبار علماء التّواصل الكنديّ مارشال ماكلوهان (١٩١١–١٩٨٠) قال يومًا: "وسيلة الإعلام بحدّ ذاتها هي المحتوى"، وذلك صحيح لأنّ الرّأي والخبر والإعلام يصنعه النّاس بذكائهم وقلمهم ، وما الوسائل الإعلاميّة سوى الصّورة لما يُنشر وما يُكتب وما يُرى من صورة، وبالتّالي، فإنّ المحتوى هو الّذي يعطي الشّكل معناه وغايته.

من هذا المنظار، فإنّ التّركيز على استخدام وسائل الإعلام، خصوصًا الاجتماعيّة منها، تبدو مهمّة أساسيّة بغية الحفاظ على الصّدقيّة، وخصوصًا على الكرامات والاعتبارات، من دون العمل على الحدّ من حريّة الرّأي وصناعة الخبر الموضوعيّ. وللتّربية دور رائد في ذلك على مستوى المدرسة والجامعة والأسرة وفي الوسائل الإعلاميّة عبر دورها التّربويّ.